اذا اردنا تقديم تنازلات في مرحلة حساسة واللجوء الى الموقف المعاكس في مناسبات اخرى ، ان التعامل القائم على وضع الحقائق امام الجماهير وتعبئتها على هذا الاساس هو النهج الذي يضمن خوض كل معاركنا مهما تنوعت اطرافها وطبيعتها ونحن نستند الى وعي جماهيري ، وقدرة جماهيرية على فهم المعركة ومتطلباتها وتفهم التكتيك الثوري الذي يجب ان تنتهجه الثورة في مواجهة كل معركة ، وتضمن الخروج بعد ذلك من معاركها وهي اقوى واصلب مستندة الى التفاف الجماهير حولها مهما كانت نتائج هذه المعركة، اما سياسة الالتفاف على الجماهير واعطائها لغة تتلون حسب ما يستدعيه الموقف « التكتيكي » من شأنها ان تهز ثقة الجماهير بالثورة وصدقها وقدرتها بالتالي على تحقيق اهداف الجماهير وطموحاتها .

هذه هي شروط الانتصار - الحزب الثوري ، الجبهة الوطنية ، الخط السياسي السليم ، الخط العسكري السليم ، الخط التعبوي والجماهير السليم - التي عملت الجبهة دفعها في كل ساحات عملها وبشكل خاص داخل الارض المحتلة .

ان الحديث عن بناء الحزب الثوري داخل الارض المحتلة حديثا محفوفا بالمخاطر آلتي لا يجهلها القارىء ، وهذا يدعونا الى الاكتفاء بما تم تأكيده في ما سبق من هذا المقال لكن هذا لا يمنعمن التأكيد على ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تمثل تجربة غنية ورائدة على طريق بناء هذا الحزب في ظل كل القمع الذي يفرضه الاحتلال على جماهيرنا في الداخل ، وما الاستمرارية بكل زخمها النضالي الذي تتمتع بها الجبهة في داخل الارض المحتلة الا مؤشرا للنجاحات التي تحققها الجبهة على هذا الصعيد .

ومن موضوع الجبهة الوطنية فقد اشرنا سابقا الى المحاولة التي بذلتها الجبهة في داخل الارض المحتلة الا مؤشرا للنجاحات التي تحققها الجبهة على هذا الصعيد .

ومن موضوع الجبهة الوطنية فقد اشرنا سابقا الى المحاولة التي بذلتها الجبهة في قطاع غزة عند تأسيس طلائع المقاومة الشعبية التي شكلت الاطار الذي ضم كل القوى والمنظمات والشخصيات الوطنية التي كانت مستعدة للانخراط في صف مقاومة الاحتلال ، ان انتهاء هذه التجربة يعود الى اسباب متعددة ابرزها :

أ - ان هذه الجبهة - طلائع المقاومة الشعبية - قد ضمت عددا من الشخصيات الوطنية ذات المواقع الطبقية البرجوازية وشبه البرجوازية التي جعلتها تتردد بعد فترة من النضال المشترك عن الاستمرار في هذا الطريق الذي شعرت انه سيكلفها غاليا ، فبدأت في الانفكاك المتدرج من التزامها بالجبهة .

ب - الدور الذي لعبته الانظمة العربية وبشكل خاص النظام المصري الذي تمثل في الايعاز لعدد من ضباط وصف ضباط جيش التحرير الفلسطيني الذين كانوا اعضاء في جبهة طلائع المقاومة الشعبية ، ودفعهم بعد ذلك لتشكيل تنظيمهم الخاص ، في محاولة من الاجهزة المصرية يومها التحكم بالخط السياسي والنضال لحركة جماهيرنا في القطاع حتى تستطيع هذه الاجهزة وعند اللحظة المناسبة انهاء هذا الوجود كما حدث اخيرا عندما صدرت القرارات بحل جهاز قوات التحرير الشعبية في قطاع غزة .

د - انعكاس العلاقات الفلسطينية في خارج الارض المحتلة على منظمات الداخل ، وتمكن بعض الشخصيات الوطنية البرجوازية وشبه البرجوازية من تحقيق مواقع وطنية لها عبر اطر والتزامات لا ترتب عليها من التضحيات ما يرتبط الانخراط المباشر في صفوف المقاومة المسلحة للاحتلال .

ومن الجهود التي بذلت لتأسيس جبهة وطنية متحدة في داخل الارض المحتلة كان للجبهة الدور الاساسي في الاعداد لهذه الجبهة والوصول بها الى حيز التنفيذ في آب ١٩٧٣ ، - وهنا نسجل ان الحزب الشيوعي الاردني كان مبادرا في الاتصال بالجبهة في عام ١٩٧٣ - هذه الجبهة التي استندت الى برنامج سياسي يشكل اساس اللقاء بين اطرافها ، والتي استكملت هيئاتها القيادية في الخارج بتشكيل المكتب التنفيذي المشترك الذي اسهمت الجبهة بدور فعال وقيادي منه ، وقد كانت هذه التجربة محط رعاية واهتمام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لتشكل الاطار المنظم لكل قوى وطاقات شعبنا على اختلاف مستوياتها ، الا انه وبعد حرب تشرين ١٩٧٣ بدأت بعض القوى مستفيدة من المنابر الاعلامية الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية وفي ظل المواقف الخلافية السياسية التي سادت الساحة الفلسطينية بعد هذه الحرب تحاول وبشكل غير شرعي ان توظف الجبهة الوطنية في الداخل لمصلحة الخط السياسي الرسمي لمنظمة التحرير واحيانا لدفع المنظمة خطوات اكبر على طريق التسوية ، مما دفع الجبهة الشعبية الى تجميد عضويتها في الجبهة الوطنية في الداخل .

والآن وبعد مؤامرة « كمب ديفيد » ، وتحقيق البرنامج السياسي المشترك لمنظمات المقاومة فان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تدعو كل القوى على ارضية الالتزام ببرنامج سياسي مشترك يستند الى برنامج اللقاء الوحدوي في الساحة الفلسطينية الى اعادة تشكيل الجبهة الوطنية في داخل الارض المحتلة ، لتقود النضالات الوطنية الباسلة التي تخوضها جماهيرنا في الداخل وتشكل اطارا توحيديا لكل الجهود التي تبذل لاحباط المؤامرة واخطر حلقاتها المتمثلة بالحكم الذاتي في الضفة والقطاع .

ان المسؤولية التي تواجهها فصائل الثورة الفلسطينية وكل المنظمات والهيئات والشخصيات الوطنية في الداخل مسؤولية تاريخية تتطلب من الجميع الوقوف امام ما تفرضه هذه المرحلة من توحيد وتأطير للجهود لتصب في المجرى الكفاحي الرائع الذي خطته جماهيرنا في تصديها للتسوية الصهيونية الامبريالية التي يسعى معسكر الخصم الى فرضها على اهلنا في الارض المحتلة .

ان وقفة مراجعة وتقييم لتجربة الجبهة الوطنية السابقة من اجل تصحيح العلاقات وارسائها على اساس من البرنامج السياسي المشترك والعلاقات التنظيمية المتكافئة مطلبا لا يحتمل الانتظار .

في المواجهة السياسية والعسكرية للعدو داخل الارض المحتلة فذراع الجبهة الشعبية طويلا ، حتى نستطيع القول ان السنوات الثلاث الاولى للاحتلال كان وجود الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هو المظهر الرئيسي للوجود المقاوم المسلح على عموم ارضنا المحتلة وامتد هذا الوجود في قطاع غزة تحديدا الى اكثر من خمس سنوات .

اذا كانت مجموعة من الظروف الموضوعية العربية بشكل خاص لعبت وتلعب دورا تقريريا حتى الان ولفترة قريبة اخرى قادمة في التأثير على الساحة الفلسطينية ومنظماتها المقاتلة خارج فلسطين المحتلة لاسباب يعرفها الجميع فان هذا الاثر العربي الرسمي وان كان لا ينعدم على العمل من داخل الارض المحتلة لكن قوته تضعف بشكل يسمح للعامل الذاتي الخاص ببرامج منظمات المقاومة نفسها السياسية والتنظيمية والايديولوجية ان تلعب دورا مقررا في اغلب الاحيان وهذا يفسر ما كان يبدو واضحا في سنوات الاحتلال الاولى كنوع من عدم الانسجام بين فاعلية اطراف المقاومة في الداخل وحجم واثر هذه الاطراف على العمل الفلسطيني خارج الارض المحتلة .

لقد تحدد خط الجبهة في داخل فلسطين المحتلة في مواجهتها للعدو بالمعادلة التي تقول ان العلاقة التي يجب ان تحكم الجماهير والعدو الاسرائيلي هي علاقة التصادم المستمر الذي يشكل الكفاح المسلح ابرز عناوينها ، كذلك فلا بد ان يكون واضحا في كل مراحل كفاحنا انه لا شرعية للاحتلال ، ولا شرعية بالتالي لاي من اجراءاته مهما كانت نعومة الغلاف الذي يمكن ان يغلف به هذه الاجراءات والقوانين ، لا لكل محاولات فرض الحقائق المادية الجديدة « حقائق الامر الواقع للاحتلال » .

هذا التحديد كان يتطلب بالمقابل زج كل الطاقات الجماهيرية الوطنية في المعركة ، ان جوانب تفوق العدو واضحة ، وجوانب قوتنا واضحة ، ان قوتنا تتمثل في الارض المحتلة بالانسان الفلسطيني المشحون باستعداد وطاقة هائلين للقتال ، منطلقا من هذا من شعوره بالظلم والقهر الوطني والطبقي الذي يعانيه في كل يوم وكل ساعة من المحتل ، ومنطلقا ايضا من اصراره الذي لم يخمد على استعادة ارضه ووطنه التي اغتصبها المحتل في العام ١٩٤٨ خاصة وبعد ان اتاحت ظروف الاحتلال لهذا الانسان الفلسطيني فرصة التماس

إن الخط السياسي السليم المستند الى النظرية الثورية العلمية والخط العسكري السليم المستند إلى حرب التحرير الشعبية طويلة الأمد هما الكفيلان بتحقيق الانتصار

الجديد مع باقي مدن وقرى فلسطين التي اقتلعته منها عصابات الصهاينة منذ العام ١٩٤٨ .

ان الانسان طاقة جبارة هائلة اذا ما شحنت هذه الطاقة بالوعي والمعرفة العلميين لواقعه وطريقه في تغيير هذا الواقع ، ان اخطر ما يواجه التعبئة الجماهيرية بالاضافة الى الحملات الديماغوجية التي تستند الى تحريك عواطف الجماهير دون الاستناد الى الرؤية العلمية والثورية لحقيقة الصراع وحقيقة اطرافه ، هي محاولات تبهيت المعركة وتخفيف حدتها تحت برامج تدعى الموضوعية والعقلانية وهي في حقيقتها ليست اكثر من محاولات ليبرالية تخدم في النهاية تغيير طبيعة المواجهة التي يجب ان تستند الى قانون الصراع المسلح الدائم مع العدو .

ان فترات الانحسار التي يمكن ان تمر بها الثورة لا تغير من طبيعة هذا القانون لكنها تغير فقط من تكتيك المواجهة ، تغير من البرامج والسياسات التفصيلية التي لا بد وان تظل مهما تغير مستواها صعودا ام هبوطا مستندة الى ضرورة ابقاء الجماهير في موقع المتصادم المقاتل للعدو وكل مؤسساته وقوانينه ، واي اخطاء كثرت على ارضية هذا التحديد الواضح للمواجهة وطبيعتها يمكن للقوى الثورية استدراكها بأقل قدر من الخسائر ، اما اذا بدأت قوى الثورة في الانحراف عن القانون الذي يحكم صراعنا مع العدو ، فعندها فقط يمكن القول ان العودة عن هذا الانحراف تصبح صعبة ، وستكلف الثورة غاليا ، وعن هذه الحالة فمن الصعب التراجع . ويمكن ان يزداد الانحراف خطورة وبعدا الى درجة لا يمكن بعدها معرفة المحطة النهائية لهذا الانحراف .

هذه هي الارضية التي حددت سياسات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في داخل الارض المحتلة ، وعلى هذا فلم تواجه مناضلينا صعوبات حقيقية في تحديد مواقفهم ورسم سياساتهم في مواجهة سياسات وبرامج العدو ، فكان مناضلينا دائما في موقع المتصدي للعدو وسياساته ، بل في طليعة المتصدين ، وجماهيرنا في الارض المحتلة تعرف جيدا انه في كل معارك المواجهة مع الاحتلال كانت الجبهة الشعبية وسطهم ، ومبادرة في تحديد الموقف والحشد له .

ظل قطاع غزة بحيرة من نور ونار تضيء طريق النضال امام الجماهير في كل الاراضي المحتلة وتلهب العدو ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم نيران مناضلينا حتى وقف العدو ليصرح ان قواته لا تستطيع ان تتواجد في ليل القطاع ، « وان قوات الاحتلال تحكم قطاع غزة في النهار ، بينما يحكمه الفدائيون في الليل » وحتى هذا الاعتراف كان اعترافا ناقصا اذا استمر الفدائيون يحكمون قطاع غزة في الليل والنهار، ولم تكن سلطة الاحتلال تتواجد الا في البقعة التي تتواجد فيها دورياته ، في الوقت الذي كان وجود الفدائيين وجودا دائما وفي كل بيت وشارع ، تفتح امامهم كل بيوت القطاع ، قواعد ، ومكامن ينقضون منها على العدو .

وفي باقي فلسطين المحتلة ، كانت ليلة القنابل في تل ابيب وفي القدس ومعارك المواجهة في بيت قوربن ، ونابلس والخليل ، وكان عبد الرحيم جابر صاحب كل بيت في الخليل،وكأكن الطفلان رياض وآنور مثل واضح لكيف يمكن ان توظف الثورة كل طاقات الجماهير في مواجهة الاحتلال ، ان اجزاء جسد الطاهر الغض ايها الرفيق رياض كانت شظايا تطاير معها فندق الاميساسادور ليشير الى قدرة هذا الشعب على تحويل كل خطوة يخطوها المحتل وجنده محفوفة بالاخطار وقد تكلف العدو حياته .

في كل تظاهرة واعتصام كانت الجبهة الشعبية ، في تظاهرات غزة المتصلة والمستمرة فترة الاحتلال الاولى كانت الجبهة ببنادقها مع المتظاهرين، في مظاهرات القدس ، ونابلس ، والخليل ، في يوم الارض ، والانتفاضة التي سميت بعشرة ايام هزت الاحتلال ، في مواجهة كمب ديفيد ومؤامرة الحكم الذاتي ، هذا الوجود الفاعل والقيادي نتاجا لخط المواجهة الثابت الذي اختطه الجبهة طريقا لمقاومة العدو .

صور وامثلة :

□ ظل العدو الاسرائيلي عاجزا عن اقامة مخفر للشرطة في معسكر جباليا بقطاع غزة طيلة الفترة من بداية الاحتلال حتى ما بعد مجازر ايلول . وعندما اعتقد العدو ان المذبحة الذي نظمها نظام الملك حسين حسين العميل في عمان مهدت امامه طريق احكام قبضته على الارض المحتلة دفع بجنوده الى مخفر الشرطة ، وما ان حل المساء حتى بدأت قنابل مناضلينا تمطر جنود الاحتلال مما اضطره الى سحب جنوده من المخفر ، بعد فترة عاد الجنود الاسرائيليين الى المخفر ، فعادت امطار قنابلنا مما اضطر العدو الى اخلاء مباني المخفر والتمركز في نقاط وملاجىء محصنة حول المخفر .

□ تصف هآرتس الوضع في قطاع غزة عام ١٩٧١ فتقول «مجموعات من الاولاد يسيرون خلفك يصرخون ويشتمون ، فتيات في سن الروضة يتراكضون ويشتمن ، حجارة تلقى من وراء الحيطان وعيون مليئة بالكراهية بمثابة حرس مرافق لك » .

هذه هي صورة الوضع في قطاع غزة كما تقر بها هآرتس وهي تبين بالملموس الى اي مدى استطاعت الجبهة الشعبية ان تنجح في اقامة علاقتها مع الجماهير ، كل طاقات الجماهير اطفالها وزهراتها موظفة في خدمة المعركة ، لقد حفظ كل اطفال القطاع انشودة يقذفون بها في وجه المحتل « بيع سلاحك سيبك منه - سلاح الفدائي احسن منه » . وبعد فترة تحولت هذه الانشودة الى صيحة انذار تحمي فدائيينا من حشود العدو ، اذ اصبح معروفا لدى ثوارنا في القطاع ان صيحة « بيعوا » هي صيحة انذارية لهم ، فقد تعود اطفالنا على ملاحقة اي دورية للعدو بصيحة « بيعوا » وتستمر هذه الصيحة في